٦٤١

في ادعاء حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانا مبينا بل هو من قبيل التمويه والتلبيس كما هو شأن
كل سحر قوله كما ثنافي اياهم اشارة الى ان في اياهم محل النصب على انه حال من هذا فاجاب موسى
عليه السلام في جوابهم تلطفا في الخطاب وايثارا للاحسن الوجوه في المجادلة معهم فقال ربي اعلم
بمن جاء بالهدى من عنده والمعنى اجئتكم بوجوه وهدى وليس بسحر ودى اعلم بذلك وانتم كذلك
قوله لانه قال ما قاله جوابا لقولهم فان الجملة الثانية اذا كانت كالمتصلة بالاولى لكونها جوابا
لسؤال اقتضته الاولى تنزلت الاولى منزلة السؤال فتنفصل الثانية عنها كما تنفصل
الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال ويستحق الفصل لكون الثانية جوابا لسؤال اقتضته
الاولى اسمعنا فاستمع نتلو الجملة الثانية بذلك ووجه القراءة المشهورة ان المراد
حكاية قولهم ذلك وقول موسى هذا ليعطف احدهما على الآخر ليوازن الناظر بين القولين
والقول ويعرف فساد احدهما وصحة الآخر فان الواو لتعين جمع القولين في ذهن السامع
ليميز بين الصحيح والسقيم لان كل شيء يتميز بضده قوله لانها خلقت مجازا الى الآخرة
يعني لان الدنيا خلقت موضع الجواز والممر الى الآخرة والمقصود بالذات من الآخرة
انما هو الثواب والجنة والعقاب انما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الاصلية
للدنيا هي الجنة لان العاقبة السوء لا اعتداد بها لانها من نتائج ايثار الاعداء العاجلة
ومما يدل على المراد بالعاقبة العاقبة المحمودة اولئك لهم عقبى الدار هنا فان المراد من الدار
الدنيا وقد صرح بان عقباها الجنة قوله وقراءة حمزة والكسائي يكون بالياء من تحت لانه
لفصل بينه وبين اسمه ولكون تانيث العاقبة غير حقيقي وقراءة العامة بالتاء الفوقانية
فانيث العاقبة فانه اسم كان وله خبرها قوله نفي علمه باله غيره دون وجوده اي لم
يعلم وجود اله غيره بان يقول لكم اله غيري بناء على انه لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بانتفائه
واثبت الالهية لنفسه حيث قال من اله غيري فكان عنده ما يقتضي الجزم بالالهية والظاهر
انه لا يريد بالالهية لنفسه كونه خالق السموات والارض وما فيهما من الذوات والصفات
فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على احد فان شك في ذلك يقتضي زوال العقل بالكلية فالمعقول
كان يظن ان هذه الكواكب والافلاك كافية في اختلاف هذا العالم السفلي فلا حاجة الى اثبات
صانع فلهذا قال ما علمت لكم من اله غيري وكان يقول لا يجب على الناس الا ان يطيعوا الحكام
وينقادوا للامر كما قيل لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا وهذا المراد
من ادعائه الالهية لا ما يظن من انه يدعي كونه خالق السموات والارض اذ ان فيه هذا
فيه نوع مناقضة لقول الصحابة لزمي فرعون على ملك الاسرائيل ... ويذرك والهتك فان من زعم توحده بالالوهية

ما للالوهية كيف يكون الهة فكانه قال هذا الكلام لملائه واشراف قومه بخصوصهم وانه كما
اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها وجعل الملاء عبادة نفسه فانه لما لم ير الاتباع اهلا
لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام ورأى الملاء اهلا لها فلذلك خصهم بها وجعل نفسه
الها لهم ومن هذا اتخذ المشركون عبادة الاصنام دون الله تعالى من حيث انهم لم يروا انفسهم
اهلا لعبادة الله تعالى قوله وهو من خواص العلوم المتعلقة بالنجوم ضعف قيل
لان علم الحذر ولا انتحال قوله ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال
اوقد لي على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه والوجه في كون الشروع بتعليم الصنعة
مبنيا على التعظيم فان ايقاد النار على الشيء المسمى بالطين امر هين حقير لعدم علمه
الهامان والعصيان فيكون التعبير عن الامر بطبخ الآجر الذي يكفي لبناء الصرح المذكور
بتولدا وقد لي على ملاء الناس وهذا معنى قوله مع ما فيه من تعظيم وكذا كل واحد من نداء
وذكره باسم العلم من غير كنية ولقب ونداء بحرف ياء الموضوعة لنداء البعيد
مع كون المنادى قريبا ونداؤه في وسط الكلام مع ان العادة تقديم النداء على المنادى
له يبنى على التعظيم والتجبر ودليل عليه انما كون الأول مبنيا على التعظيم فظاهر واما كون الثالث
مبنيا عليه فلانه لو قدم النداء وقيل يا هامان اوقد لي لزم ان يتقدم ذكر هامان
على ذكر نفسه ولم يرض به تعظما وتجبرا قوله كانهم اخذهم مع كثرتهم ودماء جنوده
يوم خرج خلف موسى كانوا الف الف وستمائة الف فان افعال الجبابرة اقعد باسباب هرجهم
لبعض عليهم من عند الله تعالى وذلك ان كان طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية
يسمى خذلانا وطبعا كذا ذكره المصنف في شرح المصابيح قوله بالحمل على الاضلال متعلق بقوله
وجعلناهم ائمة اي صيرناهم قدوة لان اصل الضلالة بان حملناهم على الضلال والهلاك فالآية
من جملة ما تمسك به اصحابنا على انه تعالى خالق الخير والشر حيث ذكر فيها انه تعالى جعلهم قادة سادة
يدعون اتباعهم الى ما يوجب النار من الكفر وانواع المعاصي كما ذكر في حق الرسل واهل الخير انه تعالى
جعلهم ائمة يدعون الى الحق والهدى حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا فدل ذلك على انه كان
من الله تعالى في حق اهل الخير صنع معنى صاروا به كالائمة الخير ولم يكن ذلك منه في حق اهل الشرك
الضلال ولو كان الامر كما زعمت المعتزلة من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى وهو
منحة الالطاف لا منعها وانه لم يكن من الله تعالى الى الرسل وقادة الخير شيء الا وكان ذلك منه
الى الكافر والفاسق لقوله في حق احد الفريقين جعلناهم ائمة يدعون الى النار وفي حق الآخر
جعلناهم يهدون الى الهدى والصراط المستقيم وجه في ذلك على انه كان منه تعالى الى احد الفريقين

Copyright © King Saud University